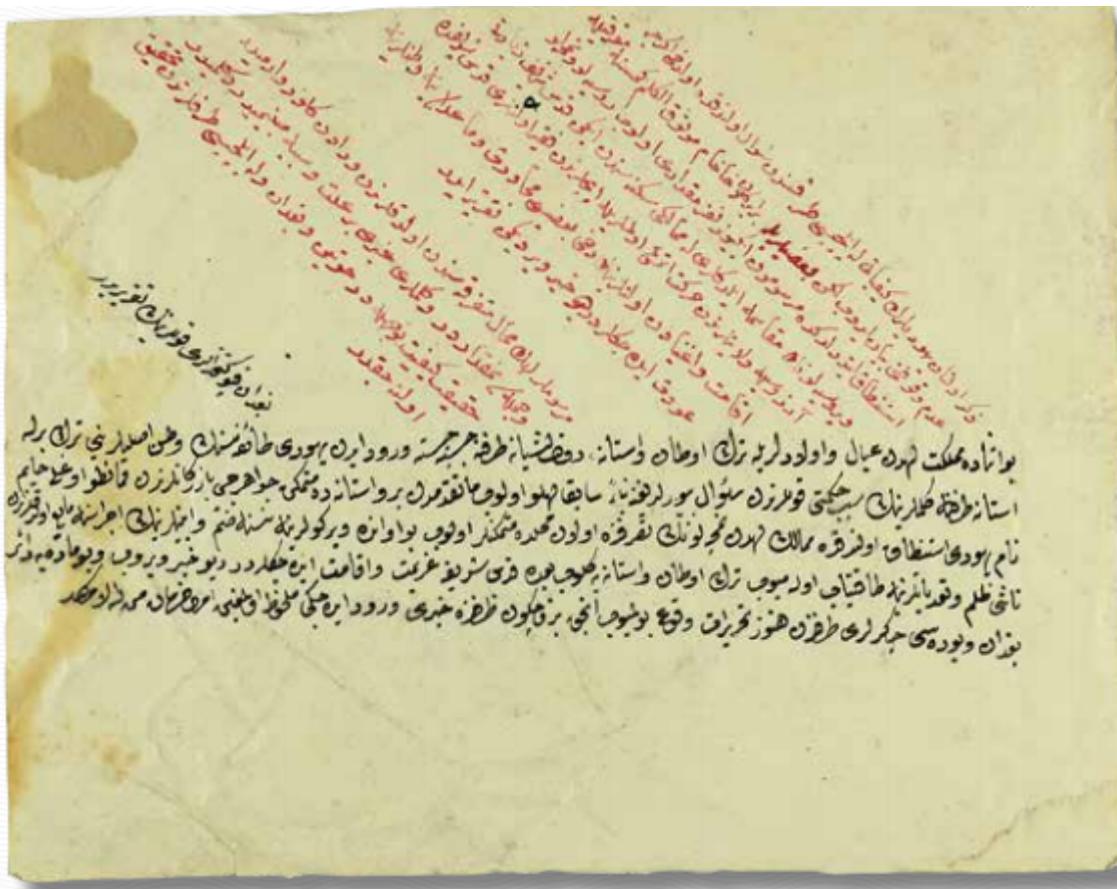


مخاطر الدبلوماسية الإنسانية من العثمانية إلى الجمهورية

كتبه صمد تinas | 2 يونيو, 2020



ترجمة وتحرير: نون بوست

تقريبا لا توجد أي منطقة في العالم لم يؤثر فيها وباء كورونا. لن تكون العلاقة الإنسانية المتشابكة والمتراقبة مع بعضها البعض قادرة على التغلب على هذا "الوباء" دون الدعم المتبادل. وتأتي تركيا على رأس قائمة البلدان في الوفاء بالالتزامات الواجبة عليها في هذه الفترة. إذا كنت تتتسائل عن المناطق الجغرافية التي قامت دولتنا "جيهان بنه" بمد يد العون إليها منذ فترة الدولة العثمانية حق الجمهورية، فإن هذا المقال كتب من أجلك.

بعد أن ذكر المبعوث البريطاني أن الإمبراطورية العثمانية كانت حليفا قويا ومخلصا، ذكر أنهم يعانون من نقص كبير في الحبوب وأن المواطنين يواجهون صعوبات كثيرة. ثم طلب من الإمبراطورية تقديم المساعدة وإرسال القمح من مناطق تيكيرداغ وجنق قلعة وجزيرة مورا.

يقول "شاعر الوطن"، ناميق كمال: "إن هيبة أجدادنا معروفة في العالم لا تظن أن الفطرة تتغير!"

فهذه الدماء ستبقى كما هي". ويتحدث الشاعر في أبيات شعره عن قضية مهمة جدا، فيقول إن المجتمع والبيزات التي ورثها الناس من التاريخ، على الرغم من أنها تتغير، إلا أنها لابد أن تحتوي على الرواسب من الماضي.

بالمثل، لم يقل ابن خلدون عيناً إن شخصية الإنسان واتجاهاته تشكلت بواسطة "المناخ" و"التغذية" و"الوراثة"، فقد كان بعض تلك المورثات بيولوجية، بينما كان البعض الآخر اجتماعيا. وبعبارة أخرى، فإن الأحداث التي شهدتها المجتمعات البشرية، والتي ميزتها تاريخيا، تأتي وتتوغل مع مرور الوقت وتترك بعض الآثار على الضمير والعقل. وهكذا هي "الدبلوماسية الإنسانية" في تركيا في الآونة الأخيرة، التي يتسمى بها الموقف الإنساني والذي يسير على هذه القاعدة النظرية. واليوم، يظهر المجتمع التركي والدولة نفس ردة الفعل الشاملة، حيث لم يميزاً مئات السنين بين مسلم أو غير مسلم تحت شعار "نحب جميع المخلوقات، من أجل خالقها".

ليس من الصعب معرفة أن مدراعنا يدركون هذا الوضع، لأنه منذ الأيام الأولى من ظهور الفيروس، وقع إرسال المساعدات الطبية إلى الصين من خلال مؤسسة تيكا، والتي تشمل بدلات الخطر وللملابس الواقعية وألاف الأقنعة. أما نقل هذه المواد فقد جاء عن طريق طائرة الشحن المسماة "كوجا يوسف" التابعة لقوات الطيران التركية. وليس من قبيل الصدفة أن يكون اسم الطائرة على اسم مصارعنا التركي الشهير الذي كان يعيش خلال الفترة العثمانية.

من ناحية أخرى، يجدر الإشارة إلى أن دولة تركيا التي قامت بيد المساعدة لأكثر من ثلاثين دولة، وفقاً لأحدث الأرقام، ينطبق عليها أقوال وأفعال مولانا جلال الدين الرومي. وقد وقع نقش قول بير شعبان والي "هناك آمال كثيرة تأتي بعد اليأس، وهناك الكثير من الشموس وراء الظلام" بلغة البلدان التي أرسلت إليها المساعدات. وقد قدمت المساعدات، من أدوات التشخيص إلى الإمدادات الطبية للعديد من البلدان من خلال طائرات الشحن العملاقة، وأصبحت تركيا مثالاً للعالم أجمع بعد أن ثبتت الاتحاد الأوروبي فشله في تلك الآونة.

تميزت أمتنا منذ أن دخلت التاريخ بصفات معينة وقد وصلت هذه الصفات
لمرحلة عظيمة بعد إنشاء أكبر إمبراطورية شهدتها التاريخ على الإطلاق

الصديق هو من يكون حاضراً في الأيام

الصعبة

لم تقم تركيا برفض طلب المساعدة، فقد أرسلت من بعد الصين إلى إيران 1000 أداة تشخيص و4175 بذلة وقاية و20 ألف معطف وألفي نظارة وأربعة آلاف قناع إن 95 و78 ألف قناع ذو ثلاث طبقات. من ناحية أخرى، وقع تقديم الدعم في البداية لأوروبا ودول البلقان. وفي هذا السياق، وقع مد يد المساعدة إلى دولة بلغاريا وإرسال 50 ألف قناع و100 ألف بذلة وقاية و100 نظارة. كما وقع تقديم الدعم إلى دول البلقان والبوسنة والهرسك والكاراداغ ومقدونيا عن طريق إرسال أقنعة وأدوات تشخيصية سريعة وملابس واقية ومنتجات تنظيف. بالإضافة إلى ذلك، قامت تركيا بتذكير العالم بمقولة الصديق هو من يكون حاضرا في الأيام الصعبة، عن طريق إرسالها ما يقرب من 450 ألف قناع إلى إيطاليا وإسبانيا اللتين تكبدتا خسائر كبيرة.

تميزت أمتنا منذ أن دخلت التاريخ بصفات معينة وقد وصلت هذه الصفات لمرحلة عظيمة بعد إنشاء أكبر إمبراطورية شهدتها التاريخ على الإطلاق. كان الأتراك دائمًا على جانب المظلومين، متأثرين بفكرة “العالمية” التي أطلق عليها العثمانيون “مختلف الأجناس”， وكذلك بفكر العالم الإسلامي الذي شكل الخلق الأساسي للدولة. دعونا نبحر إلى عالم الأحداث التي كونت وجة النظر هذه.

وقد جمع المساعدات التي أرسلت إلى جميع أنحاء العالم في وثائق الأرشيف في الموسوعة الذي تحمل عنوان “الدبلوماسية الإنسانية من العثمانية إلى اليوم: جيرهان بنه” الذي نشرته المديرية العامة للأرشيف الدولة كدليل على تراث الإمبراطورية العثمانية. تشمل هذه المساعدات دعم للاجئين السياسيين، والذين هم في وضع صعب، وكذلك المساعدات المرسلة في حالة الكوارث الطبيعية والمجاعات. عند الشروع في تدقيق هذا الكتاب أو كتابة كلمة “مساعدة” في قسم المسح الضوئي في أرشيفات دولتنا، سوف تواجهآلاف المستندات تتحدث عن مساعدة المظلومين.

يأتي على رأس المساعدات المقدمة للدول الأجنبية من الإمبراطورية العثمانية مساعدة من كانوا في وضع صعب بسبب المجاعة. ولم تقم الإمبراطورية العثمانية برفض المساعدة بغض النظر عن هذه البلدان، كما وقع الأخذ في الاعتبار عدم ظلم السكان المحليين أثناء تقديم المساعدة.

مساعدات القمح إلى إنجلترا

سجلت مساعدات القمح في التقويم سنة 1880 وكان على عرش الإمبراطورية الموسيقار السلطان سليم الثالث. بعد أن ذكر المبعوث البريطاني أن الإمبراطورية العثمانية كانت حليفاً قوياً ومخلصاً، ذكر أنهم يعانون من نقص كبير في الحبوب وأن المواطنين يواجهون صعوبات كثيرة. ثم طلب من الإمبراطورية تقديم المساعدة وإرسال القمح من مناطق تيكيرداغ وجنق قلعة وجزيرة مورا. في الحقيقة، تسببت المجاعة في إنجلترا في زيادة غير عادية في أسعار الخبز ووقع طلب المساعدة من

الأتراك لإرسال القمح. وقد وضع السلطان سليم الثالث شرطاً يتمثل في "عدم الإخلال بتغطية احتياجات إسطنبول". لذلك، سمح ببيع القمح على سواحل روميلي والأناضول وليس من خلال منطقتي تيكيرداغ وجنق قلعة.

نحن على دراية بأن مساعدات قدّمت لإنقاذ مجاعة أخرى بفضل رسالة الشكر التي كتبها الشعب إيرلندا النبيل البارز. علاوة على ذلك، علمنا من خلال تلك الرسالة أنهم تقدموا بطلبات إلى العديد من البلدان وأعلنوا أن الوضع في بلادهم مؤسف، وعلى الرغم من ذلك لم يتمكنوا من الحصول على أي شيء بخلاف المساعدة السخية التي قدمها العثمانيون بطريقة تعلم أوروبا بأكملها معنى السخاء.

كانت الفيضانات في فرنسا، التي تملك الكثير من الأراضي الزراعية والأنهار، واحدة من الكوارث التي تحدث بشكل مستمر

40 ألف فرنك لفرنسا خلال الفيضان

قدم الأتراك يد العون هذه المرة إلى المظلومين، وكان ذلك في فبراير/شباط 1868. وكان على عرش الدولة العثمانية الحاكم السلطان عبد العزيز خان الذي ساهم في إنقاذ الماجاعة من خلال شراء سلع ثمينة من السوق الخيري التي فتحتها ملكة بروسيا شرق المملكة. وقع إرسال برقية شكر من الملكة إلى إسطنبول مع رسالة عرض الكونت بسمارك. وبفضل هذا، نرى مرة أخرى عدم قيام الإمبراطورية العثمانية بالتفرقة بين الدين أو اللغة أو الجغرافيا لتقديم المساعدة.

FOTOGRAF AA / SAĞLIK BAKANLIĞI



تتسبب الفيضانات، التي تأتي على رأس الكوارث الطبيعية، في فقدان الكثير من أرواح الناس وممتلكاتهم. عدستنا هذه المرة موجودة في فرنسا، حيث ندقق مقالاً كتبه سفير باريس محمد جميل إلى الباب العالي. تسبب فيضان بعض الأنهر في فرنسا إلى حاجة الشعب لطلب المساعدة. من جهة أخرى، أرسل السلطان عبد المجيد 40 ألف فرنك إلى وزارة الخارجية الفرنسية من خلال مسيو بيلافيل. بعد ذلك، قام السلطان عبد المجيد بطلب نشر هذه المساعدات في صحيفة تسمى "مونيتور"، فقام الشعب الفرنسي بالثناء على الحاكم التركي.

كانت الفيضانات في فرنسا، التي تملك الكثير من الأراضي الزراعية والأنهار، واحدة من الكوارث التي تحدث بشكل مستمر. علاوة على ذلك، فلم تكن تلك المساعدات التي تقدمها الإمبراطورية العثمانية تخرج من الحاكم فقط بل كانت أيضاً متأتية من رجال الدولة الآخرين. أما عن احتياجات فرنسا هذه المرة خلال كارثة الفيضانات الأخرى التي وقعت سنة 1856، فقد تناولها حاكم ولايتي يوانينا وتيرهالا، محمد بك، وكتاب الدفتر ومسؤولون آخرون.

استمرار تقديم المساعدات خلال فترة الجمهورية

استمرت المساعدة إلى بريطانيا، الدولة الأخرى التي عانت من الفيضانات بنفس الشكل، دون تغير. كما قلنا مسبقاً، إن أفكارنا وعقلنا واحد، وفي هذه المرة، انتقلت تلك المناهج من الإمبراطورية إلى الجمهورية سنة 1947 ولم يتغير شيء. فقد أدى الفيضان الذي ضرب إنجلترا إلىبقاء العديد من

المنازل والمحلات التجارية تحت المياه، بينما سارعت جمهورية تركيا وحكومتها إلى مساعدة المنطقة عبر الهلال الأحمر. وقد علمنا بهذا الأمر تلك المرة من خلال إخبار وصل إلى وزير الخارجية حسن ساكا، مفاده أن رئيس الصليب الأحمر البريطاني، اللورد وولتون، كتب رسالة شكر إلى الهلال الأحمر التركي.

بالحديث عن الفيضانات وبالذكر أن تركيا ظهرت نفس ردة الفعل منذ قرون، دعونا لا ننسى الفيضان الذي حدث في باكستان سنة 2010. هذه المرة، إن رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان هو الذي هب إلى المساعدة. في الواقع، كُتبت رسالة رسمية إلى المديرية العامة للسكك الحديدية لجمهورية تركيا لطلب المساعدات الإنسانية ووُقّع على الفور تأمين حصة من ميزانية وزارة المالية. ويظهر هذا لنا مرة أخرى استمرار نفس الأفكار على مدار التاريخ.

رسالة شكر من السويدي عبد الحميد

لم يتردد الأتراك أيضاً عن تقديم المساعدات لضحايا الحرائق باعتبار أن تركيا عانت من الحرائق في الماضي. اندلع حريق في بوخارست وتسبب في تشريد عديد الأسر التي كانت تنتظر المساعدة بعد أن فقدت منازلها. وهنا مد السلطان عبد الحميد يد المساعدة للمتضررين، ولم يهمل السيد إفلاك فويوداسي بيسكو إظهار امتنانه للسلطان.

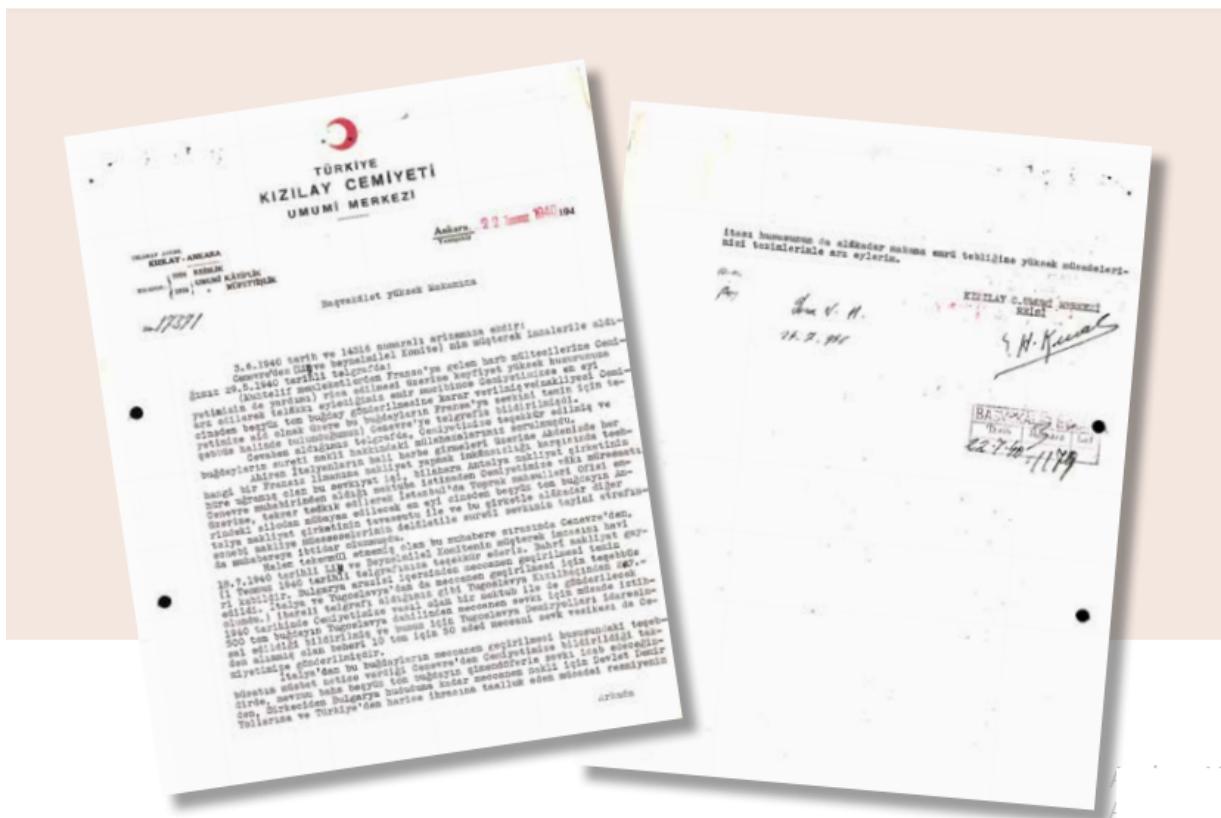
اندلعت حرائق في السويد حين كان السلطان عبد الحميد الثاني متربعاً على عرش الدولة العثمانية. وفي تلك الفترة قام السلطان بتخصيص 2500 فرنك من خزينته الخاصة إلى ضحايا الحريق ووُقّع تسليم المبلغ على الفور إلى لجنة الإغاثة ومن ثم أُرسلت الأموال إلى وزارة الخارجية من قبل كاراجا باشا سفير الدولة العثمانية في لاهي وستوكهولم. وتشير الوثيقة أنه بعد وصول المساعدات إلى السويد والنرويج طلب السويديون من كاراجا باشا أن يبلغ شكرهم وامتنانهم للسلطان عبد الحميد.

كانت الدولة العثمانية ووريثتها تركيا دون شك من أكثر الدول التي اهتمت بقضايا الهجرة واللاجئين. فنحن نرى ما قدمته تركيا خلال الفترة الأخيرة من مساعدات وخدمات إنسانية لللاجئين السوريين.

فتحت الدولة العثمانية ذراعيها لليهود البولنديين، الذين احتل النمساويون أراضيهم سنة 1785 وأُجبروا على الهجرة نتيجة للضغوط الدينية والاقتصادية. انتقل اليهود البولنديون إلى إسطنبول في شكل مجموعات. وكما هو الحال مع اليهود الذين تعرضوا للاضطهاد في إسبانيا واستقروا في سلانيك في عهد السلطان بايزيد، فقد وجد اليهود بولندا الآمن والهدوء والسلام أثناء تواجدهم في البلاد.

قصة مساعدة غريبة

بالحديث عن بولندا، تأتي إلى أذهاننا قصة مساعدة غريبة، ففي سنة 1857 أراد بعض اللاجئين البولنديين الانتقال إلى الأراضي العثمانية. ورأى السلطان عبد المجيد أنه من المناسب إقامتهم في مزارع منطقة تريكالا، والتي كانت تحت سيطرة الوزير الأعظم مصطفى رشيد باشا. وكان يعتقد أن يجب زيادة أعدادهم، وهكذا قرر تزويجهم من بنات الدولة العثمانية في البوسنة والهرسك ومنستر وشكودرا وبيلوفديف. وصدرت التعليمات إلى المناطق المذكورة من أجل تسهيل زواج الفتيات من البولنديين. وكتب الأمير ويتولد تشارلوريسي基 رسالة طويلة إلى السلطان العثماني أعرب فيها عن امتنانه وشكره على كل هذه الرعاية.



من الطبيعي أن يساعد أفراد الشعب الواحد بعضهم البعض، ولكن من النادر أن ترسل دولة مساعدات لشعب آخر. كانت الأمة التركية استثناء، فقد احتضنت عبر تاريخها الكثير من اللاجئين الظلومين وقدمت لهم كل أنواع المساعدات. وشهدت سنة 1860 قدوم مهاجرين شركس إلى الأراضي العثمانية، حيث استقرت خمسة عشر أسرة في سيوواس وحظيت بمساعدات من السلطان.

طلب مماثل

صدر قرار بأن تتكلف الدولة بنفقات المهاجرين الشركس، ولكن السكان أرادوا تقديم المساعدة بأنفسهم، وهو ما ثبته هذه الوثيقة: ”بناء على هذا الإخطار، فإن هؤلاء المهاجرين هم ضيوف دولتنا العالية التي ستستمر إلى الأبد، ولكونهم تركوا منازلهم وأراضيهم فإننا ملزمون بتأمين راحتهم كما تعلمونا من سلطانا العظيم. فنحن لن نأخذ المبلغ الذي المخصص لتكاليف بناء هذه المنازل، وسنقدم خدمة نفتخر بها، ونترع بها للخزينة.“.

ليس من الصعب العثور في أرشيفنا عن معلومات حول المساعدات التي أرسلت إلى العديد من البلدان بسبب الكوارث، والتسهيلات القدمة لأولئك الذين يضطرون إلى مغادرة بلادهم. وقد بقيت أمتنا إلى اليوم على ما كانت عليه في الماضي، فهي تعطي قيمة للشخص فقط لأنه إنسان.

المصدر: مجلة ١٨٦٨ الصادرة عن الهلال الأحمر التركي

رابط المقال : <https://www.noonpost.com/37199>